المقاربة الكلامية في مواجهة مسألة الإمامة

بقلم:

محمد سبحان أزهري

subhanashari@gmail.com

(مدرس في جامعة النور لعلوم القرأن بيوكياكرتا)

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في كيفية استدلال علم الكلام في مواجهة مسألة الإمامة. علم الكلام هوعلم يبحث في الأحكام الإعتقادية الإسلامية بالحجة العقلية. ومن أهم موضوعات بحثه هو الإمامة، إما الإمامة في الدين أم في الدولة. ومن نتائج هذه الدراسة هي أن المقاربة الكلامية في مواجهة المسألة الدينية والحياة هي تنظر الدين كحقيقة مطلقة من الله ولايوجد أي نقصان فيه. يبدو الدين رائعا للغاية بمجموعة خصائصه المميزة ويبدو الدين مثاليا للغاية. ولتصديق هذه الرؤية، استدل المتكلمون بالحجة العقلية. المسألة الإمامية هي من أهمّ مُبحاثات في علم الكلام، اختلف العلماء في من أحقّ أن يكون إماما بعد النبيّ، اشترطوا بها بأن يكون الإمام من قريش، ولكن بمرور الوقت، اختفى هذا الشرط، ولايتسأل عنه الناس والعلماء في عصر المعاصرة. ثم يأتي الجدل الآخر هل الإمام يجب أن يكون مسلما، مثل ما حدث انتخاب الحاكم بجاكرتا عاصمة إندونيسيا. وذلك الجدل يثير إلى إنشاء فريقين على الأقل، الفرقة الأول تقول إن الأهمّ في الإمامة هو أن يكون الإمام عادلا وليس مسلما أو نصرنيا، والفرقة الأخرى تقول إن شرط المسلم في الإمامة ثابت وليس مجالا للنقاس.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، الإمامة

المقدمة

علم الكلام هو علم يبحث في الأحكام الإعتقادية من الشريعة الإسلامية أوالأصول الديانة الكلية للإسلام. ويُعرف أيضا بعلم العقائد أو علم أصول الدين أو علم التوحيد وغيرها، وكأن اسم علم الكلام أشهر من غيرها، يبدو أنه قد ظهر في القرن الثاني، إذ يروي عنه ابو حنيفة ومالك (ت. 179هـ) والشافعي (204هـ) و غيرهم، كما ينسب ذلك إلي جعفر الصادق الذي مات سنة 148هـ. و قد ظل هذا الإسم مستعملا حتى عصر ابن خلدون ثم عصر بعده، وحتى عصرنا الحاضر.[1]

الإختلاف في الإمامة هو أحد الموضوعات المهمة في علم الكلام، إذ يقول الأشعري إن أول إختلاف المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم اختلاف في الإمامة.[2] لمّا توفي صلى الله عليه وسلم اختلف الناس في خليفة بعد النبي، قال البعض أن أبا بكر أحق بأن يكون خليفا للنبي لأنه أقرب إليه من غيره. وقال البعض أن عليا أحق منه لأنه من ذرية النبي. مع أن هذا الاختلاف قد توقف في عصر أبي بكر أو بعد مبايعة علي على إمامة أبي بكر، لكنه ظهر هذا الإختلاف وكبر بعد سلب معاوية على سلطة علي. ومن هنا، نشأت المذاهب المتعددة في الإسلام مثل الخوارج والشيعة وأهل السنة والمعتزلة. ثم تطورت هذه المذاهب السياسة إلى المذاهب الدينية. لذلك ناقش علم الكلام –بالنسبة أنه علم العقائد- موضوع الإمامة لأنه يكون هذا الموضوع اشكالا دينيا.

وفي عصر المعاصر ظهر اختلاف آخر في الإمامة، وهو الإختلاف في نصب الإمام المسلم في الدولة القومية. وهل الإمام في الدولة القومية يجب أن يكون مسلما؟ وهل نصب الإمام المسلم واجب للمسلمن في تلك البلد بأية حالة كانت؟ هذه الدراسة مهمة جدا لمواجهة المشكلة المعاصرة، كما حدثت في انتخابات العامة للمحافظ بمحافظة جاكرتا. وجدير بالعلم، أن أحد

[1] حسن محمود الشافعي، المدخل الي دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1991، ص. 26.
[2] أبي حسن الأشعري، مقالات الإسلاميين و إختلاف المصلين، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص. 8.

المرسحين للمحافظ بجاكرتا نصرني وهو باسوكي جاهايا فورناما الذي اشتهر باسم أهوك. وقد عُرف هذا الرجل بعدله وشجاعته في الرئاسة، لكن بعض العلماء حرّموا المسلمين لنصبه كالإمام لأنه نصرني، فاختلف المسلمون لمواجهة هذه المشكلة حتى يكون الصراع بينهم.

ومن هذه البيانات السابقة، سيتكلم الباحث في هذه الرسالة عن مسألة الإمامة الإسلامية بالمقاربات الكلامية أو العقائدية. لذلك سيورد الباحث خطة البحث وهي أولا عن تعريف لعلم الكلام أو علم العقائد وما أشبههما، وثانيا عن مكانة العقل والوحي في العلم الكلام، وثالثا عن الموقف الكلامي أو العقائدي في مواجهة مسألة الإمامة.

التعريف للمقاربة الكلامية أو العقائدية

الكلام بمعناه اللغوي معروف وهو قول أو حديث يتضمن فيه المعنى، وأما اصطلاحا فهو علم يبحث في الأمور العقائدية الإسلامية بالحجة العقلية. واطلاقه علي العلم الذي نحن بصدده فله تفسيرات مختلفة، قال أبو الوفى الغانمي التفتزني في سبب تسمية لعلم الكلام "يسمى كلاما لأن عنوان مباحثه كان قولهم الكلام في كذا و كذا، وقال البعض لأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه و أكثرها نزاعا و جدالا، وقال الآخرون لأن أشهر المباحث الكلامية وأثرها نزاعا وإثارة للخلاف بين الباحثين في المسائل الإعتقادية هي مسألة كلام الله والنزاع في أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق.[3]

فقد عُرف علم الكلام بأسماء أخرى منها "علم الفقه الأكبر" و هي التي من أقدم الأسماء التي عرف بهذا العلم، وصاحب هذه التسمية هو الإمام أبو حنيفة المتوفي في منتصف القرن الثاني الهجري. وذلك قال أبو حنيفة "اعلم أن الفقه في أصول الدين أفضل من الفقه في فروع

[3] حسن محمود الشافعي، المدخل الي دراسة علم الكلام ...، ص. 27.

الأحكام، و الفقه هو معرفة النفس ما يجوز لها من الإعتقاديات و العمليات، و ما يجب عليها منهما، .. و ما يتعلق منها بالإعتقاديات هو الفقه الأكبر .. و ما يتعلق بالعمليات فهو الفقه".[4]

وعرف أيضا بـ"علم أصول الدين" أي العلم الذي يبحث في الأحكام الإعتقادية كالأصول الدينية وذلك يميّز بالأحكام العملية التي تكون كالفروع الدينية. وعرف أيضا بـ"علم العقائد"، العقائد جمع عقيدة وهي "فعيل" بمعني "مفعول" اي معتقدات الدينية، ويرجع هذا الاسم إلى القرن الرابع الهجري. وعرف أيضا بـ"علم التوحيد" : و التوحيد في الحقيقة ليس هو إحدي الصفات الإلهية فحسب، بل هو شعار الملة الإسلامية كما يقول "البيرني" وهو الصفة التي عرف بها الإسلام من بين الأديان العالمية. و عرف أيضا بإسم "علم النظر و الإستدلال" : و النظر هو فكر في الأشياء، أي ترتيب المعلومات السابقة في الذهن للتوصل منها إلي المطالب الجهولة.[5]

بنائا على تعريفات السابقة عن علم الكلام، استدلّ المتكلمون آرائهم على المنهج المنطقي والعقلي، وهم يأخذون الأفكار اليوناني من الفلسفة وخاصة المنطق الأرسطي لدعم الأفكار الديني الإسلامي. وذلك لأن الإسلام في ذلك العصر يواجه الهجمات من الخارج أو من النصرني الذي يبني أفكاره بالأفكار الفلسفي اليوناني.

لدعم هذا المشروع العقلي في علم الكلام، ترجمت الخلافة العباسية كثيرا من كتب الفلسفة اليونانية، وذلك بنى الخليفة مأمون –وهو خليفة عباسية بعد هارون الرشيد- مكتبة كبيرة مليئة بالكتب اليونانية الفلسفية. وكان أيضا يعلن حركة الترجمة من الكتب اليونانية إلى العرابية. والمأمون نفسه معتزلي وهو المذهب الذي اشتهر بطريقة العقل في تأسيس أرائه.

وأهداف علم الكلام هو بيان الأحكام الإعتقادية في الإسلام من جانب، ولنصرة الأراء الإسلامية العقائدية وتزييف خصومها أو كل ما خالفها من جانب آخر. وذلك قال الفاربي عن علم الكلام بأنه "صناعة الكلام يقتدر بها الإنسان علي نصرة الأراء و الأفعال المحدودة التي

[4] حسن محمود الشافعي، المدخل الي دراسة علم الكلام ...، ص. 13.
[5] حسن محمود الشافعي، المدخل الي دراسة علم الكلام ...، ص. 26-32.

صرح واضع الملة و تزييف كل ما خالفه".[6] ومن ذلك القول يمكننا استخلاص النتائج بان هناك هدفين في علم الكلام، الأول إيجابي يهدف إلي إثبات العقائد و الأحكام التي تحتويها الملة بالبراهين المختلفة، و الأخر سلبي يقصد إلي تزييف كل ما يخالفها أو يناقضها. [7]

وبحاجة إلى النظر فيه، إذا قمنا بتحليل تعريفات من علم الكلام من التعريف الأول إلى التعريف الآخر أو مثلا من أبي حنيفة إلى الغزالي على الأقل، لوجدنا تغيير الأهدف في علم الكلام من الدفاع عن الإسلام إلى الدفاع عن المذهب المعيّن مثل الدفاع عن أهل السنة والجماعة. في بداية القرن السادسة الهجري نجد الغزالي (505) المتكلم الأشعري ذا نزعة الصوفية يتحدث في كتابه "المنقذ من الضلال" عن علم الكلام، فيقول " ... و إنما مطلوبه حفظ عقيدة اهل السنة و حراستها عن تشويش أهل بدعة.[8]

واتبع ابن خلدون رأي الغزالي بأن هدف علم الكلام للدفاع عن مذهب أهل السنة، وذلك قال ابن خلدون في المقدمة بأن علم الكلام هو "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية و الرد علي المبتدعة المنحرفين في الإعتقادات عن مذهب السلف و أهل السنة. و سر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد".[9]

الحجة العقلية التي استخدمها المتكلمون لنصرة آرائهم قادرة على مواجهة الهجمات الخارجية من النصراني وغيره، لكنها تثير اشكالا آخر في داخل دين الإسلام والمجتمع المسلمين، لأن استخدام العقل يُعتبر مخالفا للوحي وضدا له. لذلك انقسم المتكلمون إلى المذاهب المتعددة أهمها المعتزلة وأهل سنة. المعتزلة مذهب يغالى في العقل، وأما اهل سنة مذهب يغالي في الوحي أو الحديث.

أشار ابو حسن الأشعري (ت. 330) – من أحد رواد مذهب أهل سنة – رفضه على المعتزلة وأهل العقل لأنهم تأولوا القرأن والحديث على آرائهم. وذلك قال أبوحسن في كتابه

[6] حسن محمود الشافعي، المدخل الي دراسة علم الكلام ...، ص. 14.
[7] حسن محمود الشافعي، المدخل الي دراسة علم الكلام ...، ص. 16.
[8] حسن محمود الشافعي، المدخل الي دراسة علم الكلام ...، ص. 17.
[9] إبن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مكتبة الأسرة، 2006، ص. 966.

الإبانة "فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة و اهل القدر مالت بهم أهوائهم إلى تقليد رؤسائهم، و من مضي من أسلافهم فتأولوا القرأن علي أرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا و لا أوضح به برهانا، ولا نقلوا عن رسول رب العالمين، ولا عن سلف المتقدمين. و خلفوا روايات الصحابة رضي الله عنه عن النبي في رؤية الله عز وجل بالأبصار. وقد جائت في ذلك روايات من جهات مختلفات و تواترت فيها الأثار، و تتبعت بها الأخبار".[10]

وذلك قال أبو الحسن الأشعري أن المذهب الحقي هو المذهب الذي "تمسك بكتاب الله عز و جل و بسنة نبيه و ما روي عن سادة الصحابة و التابعية و أئمة الحديث، و نحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبال".[11] وقد قصد الأشعري في تلك العبارة أن المذهب الحقي هو المذهب أهل سنة والجماعة لأنه مأسس له. والمشكلة هي هل مذهب أهل سنة هو المذهب الوحيد الصحيح في الإسلام؟ وهل أهل سنة هو المذهب الوحيد الذي يقول بالقرأن والسنة؟

توجد الخاطئات في وجهة نظر غالبية المسلمين على المعتزلة اذ أنهم يحتجّون بالعقل ويعارضون الوحي. والصحيح عند رأي الباحث هو أن المذاهب الدينية الإسلامية كلهم يحتجّون بالوحي والعقل في نفس الوقت، والفرق بينهم هو في مقدار احتجاجهم بالعقل. لم يرى الباحث بأن المعتزلة تحتجّ بالعقل وتترك الوحي لأن ذلك من وجهة النظر الذاتية، بل يرى الباحث أن المعتزلة تحتجّ بالعقل أكثر من أهل سنة في احتجاجه بالعقل.

تأكيدا على ذلك، إذا نظرنا إلى تصنيف العقل الذي بناه محمد عابد الجابري، فسنجد أن المتكلمين كلهم تحت ظلال العقل البياني.[12] قسّم الجابري العقل إلى ثلاثة : الأول العقل البياني وهو الإحتجاج بالوحي، والثاني العقل العرفاني وهو الإحتجاج بالذوق، والثالث العقل البرهني وهو الإحتجاج بالعقل أو الحس. والمتكلمون –كما رأى الجابري- كلهم من علماء البيانيين الذين

[10] أبو حسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولي، 1977، ص. 14.
[11] أبو حسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة ...، ص. 20.
[12] محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي ...، ص 13.

يجتجّون بالوحي أو النص الشرعي. العقل البياني هو طريق استنباط الحكم من خلال نص الوحي مثل القرأن و الحديث وفروعهما مثل الإجماع والقياس، ويحللها بالتحليل اللغوي أو القياسي.

ونستحلص مما سبق، أن علم الكلام هو علم يبحث في الأحكام الإعتقادية بالحجة العقلية. ولكن الحجة العقلية التي قام بها علم الكلام لاتقوم منفردة، بل لدعم الوحي. لذلك الصحيح في علم الكلام هو ما صحّحه الوحي، والخطاء في علم الكلام هو ما أخطأه الوحي. والهدف من علم الكلام هو "الدفاع علي مذهب معين أو نصرة الأراء وتزييف كل ما خالفها".والمقاربة الكلامية أو العقائدية هي منهج البحث العلمي الذي يقوم بتحليل نص الوحي، وتصديقه بالمنهج المنطقي.

والمقاربة العقائدية تنظر الدين كحقيقة مطلقة من الله ولايوجد أي نقصان فيه. يبدو الدين رائعا للغاية بمجموعة خصائصه المميزة ويبدو الدين مثاليا للغاية. ولتصديق هذه الرؤية، استدل المتكلمون بالحجة العقلية. لذلك أساس هذه المقاربة هو الدين أو الوحي ثم تصديقهما بالحجة المنطقية والعقلية .

النظرة الكلامية في معالجة مسألة الوحي والعقل بين أهل السنة والمعتزلة

لو نظرنا إلي كتب علم الكلام القديم، لوجدنا أن مسألة علم الكلام يتمحور حول مسألتين رئيستين. الأولي هي المسألة عن كيفية معرفة وجود الله، أي كيفية الإيمان به : هل معرفته بالعقل أم بالوحي؟! و الثانية هي مسألة عن كيفية معرفة الحسن و القبح، هل معرفتهما بالعقل أم بالوحي؟![13]

و المسألة الأولي تتفرع إلي فرعين : الأولي عن كيفية معرفة وجود الله، و الثانية عن وجوب الإيمان به و جوب الشكر إليه و الطاعة لأوامره. و المسألة الثانية اي مسألة الحسن و

[13] هارون ناسوتيون، تيولوجي إسلام، مكتبة الجامعة الإندونيسيا، جاكرتا، 2015، ص. 82.

القبح أيضا تتفرع إلي فرعين : الأولي تكلمت عن كيفية معرفة الحسن و القبح، و الثاني تكلمت عن و جوب العمل بالحسن و اجتناب القبح.[14]

قال المعتزليون : "يمكن علينا الحصول على جميع المعارف من خلال العقل، و كذلك معرفة كل الواجبات يمكن ان تحصل بالعقل و التفكير العميق، لذا، الشكر إلي الله و الإيمان به واجب مع أن قبل نزول الوحي. و كذلك معرفة الحسن و القبح يمكن أن تحصل بالعقل، لذا، العمل بالحسن و ترك القبح و الشر واجبان مع أن قبل نزول الوحي."[15]

والسونيون اي أهل السنة والجماعة يقولون ضدا ذلك : إن العقل يمكن أن يعرف معرفة وجود لله، و لكن لا يعرف الواجبات. و يمكن العقل أن يعرف وجودالله ولكن وجوب الإيمان به لا يُعرَف بالعقل. و بالنسبة للحسن و القبح، اعتقد أهل السنة أن الحسن و القبح لايعرفان بالعقل و لكن وجوب معرفتهما بالشرع. لذا الحسن عند السنيين هو ما حسن عند الشرع، و القبح عندهم هو ما قبح عند الشرع. اذا،ليس هناك الواجبات قبل نزول الوحي.[16]

السؤل اذًا، ما وظيفة الوحي عند المعتزلة إن كانت معرفة وجود الله ومعرفة الحسن و القبح وكذلك معرفة الواجبات يمكن أن تعرف بالعقل؟ و المعتزليون يقولون أن الوحي بالنسبة لمسألة معرفة وجود الله و معرفة الحسن و القبح، له وظيفة للتأكيد (confirmation)، و في بعض الأحيان الوحي له وظيفة لشرح في مسألة العبادة مثل طرق الصلاة و الصوم و الحج و غيرها.

والوحي عند أهل السنة و الجماعة له وظيفة مهمة و أساسية. لانه دون الوحي، لا نعرف شيئا عن الحسن و القبح، و عن الواجبات التي أمرها الله للناس، والوحي له وظيفة لشرح الأحكام و الشرائع، و لشرح وجوب معرفة الله. وفي مسألة الحسن والقبح، أهل السنة يقول أن الحسن

[14] هارون ناسوتيون، تيولوجي إسلام ...، ص. 82
[15] هارون ناسوتيون، تيولوجي إسلام ...، ص. 82
[16] هارون ناسوتيون، تيولوجي إسلام ...، ص. 82

هو ما يراه الشرع حسنا، والقبح هو ما يراه الشرع قبيحا، وأما المعتزلة فيقول أن الحسن هو ما يراه العقل حسنا، والقبح هو ما يراه العقل قبيحا.

الصراع بين العقل والوحي ما زالت مستمرا حتى الأن، واتسع الصراع في مجال متعددة مثل في مجال حرية المرأة وشهادتها والمساوة بين الرجل والمرأة والحقوق الإنسانية وأيضا في مجال الدولة أو الخلافة الإسلامية. والمشكلة هي أن نص الوحي لايتغير عبر الزمان، لكن الظروف الإجتماعية تتغير في وقت بعد الوقت. لذلك تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا نصيا وظاهريا يؤدي إلى مشكلة أخرى وهي الصراع بين ظاهرية النص والواقع.

إذا تأملنا إلى مسألة شهادة المرأة –على سبيل المثال-، يقول عز وجل "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى". (البقرة :282) ومن النص القرأني نرى أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، لكن عندما ننظر إلى التطبيق للأحكام الشريعة المعاصرة فلم نجد الناس او الدولة أو الحكومة يطبقون هذا الحكم إلا قليلا. والسؤل هو هل عدم تطبيق نصف شهادة المرأة كما ظاهر النص القرأني يُعدّ ضدا للإسلام؟

وحدث الخلاف حول الوحي والعقل أيضا في مجال المساوة بين الرجل و المرأة، يقول عز وجل "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ"، ويستدل بعض الناس من هذه الآية أن الرجال أفضل من النساء، ولكن العقل المعاصر يرد على هذا الفهم ويثير بتسوية الرجال والنساء، لأن كل الآيات القرأنية التي نزلت لاتنفصل عن ظروفها وحالتها.

ومثال آخر في قضية المساوة هو سماحة الإسلام بتعدد الزوجات. يقول عز وجل " فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ"(النساء : 4). تلك الآية تدل ظاهرتها على جواز تعدد الزوجات، لكن العقل المعاصر ترد على هذا الرأي. يقول العقل المعاصر أن الظروف في وقت نزلت فيها تختلف بالظروف والحالات المعاصرة. الظروف العربي في ذلك الوقت تجيز

تعدد الزوجات، وتعدد الزوجات لايُعتبر إهانة على النساء. إن الرجال في ذلك الوقت يستطيعون أن يتزوجوا بقدر الإمكان، نرى العربيين أن يتزوجوا في ذلك الوقت بعشرات من النساء أو حتى المئات، ذلك عُرف للعربيين، ولكن الإسلام جاء وحمل رسالة لتمجيد النساء عن طريق الحدّ من تعدد الزوجات إلى الأربعة.

رأى العقل المعاصر أن جوهر التعليم القرآني في مسألة النساء هو كيفية احترام المرأة وعدم إهانتها، وليس في عدد تعدد الزوجات. إن كان تعدد الزوجات يعتبر بإهانة المرأة، فينبغي علينا أن نبتعد منه، ومعارضة تعدد الزوجات لايعني معارضة تعليم الإسلام، لأن جوهر تعليم الإسلام هو كيفية إكرام النساء.

ومن هنا يرى الباحث أن الجدل بين الوحي والعقل في الحقيقة ليس جدلا حقيقيا أي بين من يرفض بالوحي ويتمسك بالعقل وبين من يتمسك بالوحي ويرفض بالعقل. وإنما الجدل هو حول ظاهرية النص ومضمون النص أو الجدل بين معنى الظاهر ومعنى الباطن، لأن كل الفريقين يتمساكان بالوحي والعقل معا. ولذلك يتمسك الباحث بقول النبي صلى الله عليه وسلم "إختلاف أمتي رحمة"، وقال العلماء "إن الإختلاف من رحمة الله ورحمة الأمة في اختلاف الأئمة أي أئمة المذاهب".

قضايا الإمامة بين أهل السنة و الشيعة و العلماء المعاصرة

يقول الإمام الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين أن الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم "اختلفوا في أشياء كثيرة، ضلل فيه بعضهم بعضا، و برئ بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين و أحزابا متشتتين، إلا : أن الإسلام يجمعهم و يشتمل عليهم. و أول ما حدث من

الإختلاف بين نبيهم صلعم اختلافهم في الإمامة".[17] والتعبير للإمام الأشعري عن الإمامة يدلّ على مهمة هذا البحث، لأن الإمامة ليست مسألة سياسية بل هي مسألة دينية أيضا.

لمّا قبض الله عز وجل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، و نقله الي جنته ودار كرامته اجتمعت الأنصار في سقيفة بني سعادة بمدينة الرسول و أرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة. و بلغ ذلك أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما فقصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين فأعلمهم أبو بكر : أن الإمامة لا تكون الا في قريش، واحتج عليهم بقول النبي : "الإمامة في قريش"، فأذعنوا لذلك منقادين ورجعوا الي الحق طائعين.[18]

وفي الحقيقة أن القضايا الإمامية بعد النبي لم تتوقف ببيعة أبي بكر كخليفة. هدأت المشكلة بشكل مؤقت في عهد أبي بكر وعمر، لحكمتهما في الرئاسة وتحقيق العدالة خلال قيادة أبو بكر وعمر. وهذه المسألة (اي المسألة الإمامية) عادت ظهورها في منتصف عهد عثمان بن عفان، لأن قيادته وحكومته تعتبر الكثير من الفساد والتواطؤ والمحسوبية. ولقد تزايدت المشاكل في قضايا الإمامة بعد النبي – خاصة لدي الشيعيين – بعد سلب ونهب معاوية لعرش عَلِي في معركة الصفين. وقد تطورت القضايا الإمامة اذًا .. من مشكلة سياسية إلي ان تكون مشكلة عقائديا.[19]

لم يكن علي حاضرا ذلك الإجتماع (اي الإجتماع لبيعة أبي بكر) لإشتغاله هو و أهل بيته في جهاز رسول الله صلي الله عليه و سلم و أخذا العدة لدفنه، فلم بلغه الخبر البيعة لأبي بكر لم يرض عنها، و تكون رأي ثالث و هو أن تكون الخلافة في بيت النبي، و أقرب الناس اليه صلي الله عليه و سلم عمه العبس بن عبد المطلب و ابن عمه علي بن أبي الطالب، و لكن العباس لم يكن من السابقين إلي الإسلام، فقد حضر غزوة بدر مع المشركين، و لم يسلم إلا آخرا، فأولي

[17] أبي حسن الأشعري، مقالات الإسلاميين و إختلاف المصلين، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص. 8.
[18] أبي حسن الأشعري، مقالات الإسلاميين و إختلاف المصلين، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص. 8.
[19] هارون ناسوتيبون، تيولوجي إسلام، الجامعة الإندونيسيا، 2015، ص. 3.

الناس من قرابة النبي علي بن أبي الطالب، وهو من اول الناس إسلاما، و زوج فاطمة بنت النبي صلي الله عليه و سلم، و جهاده و فضله و علمه لم ينكر.[20]

و لكن ردّ علماء أهل السنة بما قال الشيعيون، و أجابواهم بصحة امامة أبي بكر ببيعة علي و العباس في وقت بعده. وقد عقدت إمامة أبي بكر بالإجماع من المسلمين في ذلك الوقت. لذلك ليس هناك السباب لإنكار إمامة أبي بكر الصديق.

وللإجابة على أولئك الذين يشككون في إمامة أبي بكر، كتب أبو حسن الأشعري -مؤسس مذهب أهل السنة و الجماعة- كتبا في علم الكلام. قال أبو حسن الأشعري في كتبه :" الدليل علي إمامة إمامة أبي بكر بعد الرسول منها : أنّا وجدنا الناس علي ثلاثة أصناف : قائلين يقولون بإمامة علي بعد الرسول صلعم،وقائلين يقولون بإمامة العباس رضي الله عنه، و قائلين بإمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. و رأينا عليا و العباس قد بايعاه و اِنقادا لأمره في كافة المسلمين، و إن كان قد توقف عن البَيعة متوقفون وقتا ما، فقد أطبقوا علي البيعة له و الإنقياد لإمامته و الكون تحت رايته و اتباع أمره.

و كما قال رسول الله صلعم "لا تجتمع أمتي علي خطاء"، و لا يجوز لمدع أن يدعي أن باطن علي و العباس بخلاف ما أظهراه، و لو جاز ذلك لم يجز لنا أن نقضي علي صحة اجماع من الأمة علي شيء. لأنّا لا نؤمن أن يكون باطن بعض الأمة خلاف ظاهرهم ... فلما كان بما يظهر من الأمة من الإتفاق قد يعلم به الإجماع و لا يلتفت إلي دعوي من ادعي الباطن، و كان مدعي ذلك كقائل يقول من الخوارج أن باطن علِي بخلاف ظاهرة.[21]

و قد أخذ أشعري حجة من القرأن و الحديث ليستدل علي صحة إمامة أبي بكر : كما في سورة براءة الأية 83 " فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ". فقد قال الناس "انهم أهل فارس"، وقالوا : "أهل اليمامة"، فإن كانوا أهل اليمامة فقد قتلهم بعد النبي أبو بكر

[20] احمد أمين، فجر الإسلام، بيروت، الطبعة العاشرة، 1969، ص. 253.
[21] أبو حسن الأشعري، كتاب اللمع في الرد علي أهل الزيغ و البدع، المكتبة ألأزهرية للتراث، القاهرة، ص. 130.

الصديق. فإن كانوا الروم، فقد قتلهم الصديق أيضا...، فإن كانوا أهل فارس، فقد قوتلوا في أيام أبي بكر و قاتلهم عمر من بعد و فرغ منهم. و إذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبي بكر، كما وجبت إمامة عمر رضي الله عنه.[22]

و في جانب أخر، ردّ الشيعيون بما قال أبو حسن الأشعري خصوصا و أهل السنة عموما. أن الشيعيين لديهم مبادئ خاصة علي حقوق علي كخليفة. و قد تمسك الشيعيون بأحد حديث النبي .. قال النبي صلي الله عليه و سلم "من كنت مولاه فعَلِي مولاه" (رواه احمد). و هذا الحديث قد قاله النبي بعد عودته من حج الودع، او حج النبي الآخر.. و بعد هذا التعيين، توافد الناس لتهنئة علي، منهم أبو بكر وعمر، يقولون "تهانينا لكم يا ابن أبي طالب .. الأن، كنت مولايَ و مولاي كل المؤمنين". رأي الشيعيون أن الإمامة تكون بالنص لا بالإختيار الناس.[23]

و أما الإجماع في بني سقيفة الذي أعلنه السونييون كأساس لبيعة أبي بكر، كان الإجماع غير سليم. كيف يمكن أن نقول أنه من الإجماع، في حين أن عددا من قادة الصحابة مثل علي وعباس وغيرهم من أعضاء بني هاشم لن تشاركوا الولاء و البيعة؟! و كذلك الصحابة الأخر، مثل أسامة بن زيد، سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، المقداد بن الأسود وعمار بن ياسر، حذيفة بن اليمن، خزيمة بن ثابت، وأبو بريدة الأسلمي، بارو بن عزيب، أبي ابن كعب بن، سهل بن الحنيف، سعد بن عبادة، قيس بن سعد، وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله، خالد بن سعد وغيرهم، لم يشاركوا في الأجماع.[24]

استدل الصراع في الإمامة بين شيعة وأهل سنة على أن الإمامة عند المتكلمين ليست مسألة سياسية فحسب، بل هي مسألة دينية أيضا. لكنه مع ذلك، توجد التغيرات في شروط القيادة أو الخلافة في العصر المعاصر. شرط القريش مثلا لدى أهل سنة لايعتبر كشرط أساسيّ في الإمامة

[22] أبو حسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة ...، ص. 254.
[23] محمد تيجان السماوي، و أخيرا .. قد وجدت الحقيقة، أبتث وبسيت، ص. 151.
[24] محمد تيجان السماوي، و أخيرا .. قد وجدت الحقيقة ...، ص. 151.

في العصر المعاصر، بل أغفلوه. وكذلك شرط ذرية النبي لدى شيعيّين لايكون كأحد شروط في الترشح للرئاسة في بلد شيعيّ في إيران.

وفي العصر المعاصر، يأتي جدل آخر في مسألة الإمامة. والجدل يدور حول هل الإمام يجيب أن يكون مسلما أو يجوز على غير مسلم أن يكون إماما؟! وما شروط الأساسية في الإمامة هل دينه أم عدالته؟! وهل يجب المسلم أن يختار إماما مسلما بأيّة حالة كانت مثل في البلد غير إسلامية أو علمانية مثل في إندونيسيا؟ وهذه المشكلة تثير جدلا واسعا في المجتمع المسلمين في إندونيسيا.

وكما عرفنا أن الظروف في الزمان الماضى والحاضر قد اختلفا، وكذلك القنون الذي تمسكتْ به دولة اسلامية ودولة إندونيسيا قد اختلفا. تمسكت الدولة الإسلامية الماضية بالقانون الشرعي وأما الدولة الإندونيسيا فتمسكتْ بقانون خمسة وأربعين أي ليس قانونا إسلاميا مع أنه لايعارض بالقانون الشرعي الإسلامي. لذلك هل نصب الإمام غير مسلم يُعدّ ضدا للإسلام وللقرآن والسنة؟

حدث الجدال في مسألة الإمامية في إندونيسيا في انتخاب الحاكم بمحافظة جاكرتا إندونيسيا. كما عرفنا أن من أحد مرشحين لرئيس المحافظة بجاكرتا هو نصرني، وهو باسوكي جاهايا فورناما أو المشهور بإسم أهوك (Ahok). لقد اختلف المسلمون في مواجهة هذه المشكلة، بعض المسلمين يرفضون أهوك، و بعض الأخر يدافع عنه.

وفي الحقيقة، كان أهوك حاكما قديما بجاكرتا عاصمة إندونيسيا، وهو حكيم فيها منذ 14 نوفمبر 2014 حتي نهاية أكتوبر 2016. قبل أن يصبح حاكما، كان أهوك نائبا للحاكم بجاكرتا قبله يعني أنه نائبا من جاكا ويدادا او المشهور باسم جاكاوي. استقلّ جاكاوي من أن يكون حاكما عندما رشح نفسه ليكون رئيس البلد. وفي وقت لاحق، أصبح أخوك حاكما يحتل محل جاكاوي كحاكم بمحافظة جاكرتا.

والمشكلة هي اشترك أهوك في الإنتخابات بمحافظة جاكرتا في وقت لاحق، ومن المعلوم كان أهوك نصرنيا والمحافظة أعظم سكانها مسلمون. ذلك يؤدي إلى انقسم المسلمين إلى صعيدين، الصعيد يرفضه لأنه نصرني، والصعيد الآخر يدافع عنه لأنه عادل.

استدل المسلمون الذين يرفضون أهوك بقول الله تعالى في السورة المائدة : 51 "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)". وفسروا أن معني "الأولياء" في تلك الأية هو الإمام. لذلك فهموا ان الله تعالى قد حرّم المسلمين و المسلمات أن يحتاروا إماما غير مسلم. لذلك، كثير من الداعيين و رجال الدين يخاطبون في جميع المساجد لمنع المسلمين إختيارا لِـ أخوك "Ahok" كحاكم بجاكرتا.

وفي صعيد آخر، يقول المدافعون عن أهوك، أن مسألة الإمامة في محافظة جاكرتا ليست مسألة دينية، وإنما هي مسألة سياسية. والآيات التي استدل بها هؤلاء الرافضون لاتوافق بظروف العصر. الإندونيسا هي دولة قومية وليست دينية أو إسلامية، وأعطت الحكومة فرصة لكل متدينين بمختلفتهم ليكونوا حاكمين في أي المنطقة في إندونيسيا، لافرق بين مسلمين أو نصرانيين أو بوذيين وغيرهم.

كان المسلمون الرافضون لأهوك يخافون لو كان النصراني يكون إماما على المسلمين، فيضرّ للمسلمين. فأجاب المدافعون لأهوك ذلك أن مخاوف الرافضون قد بطلت بالواقع، لأن أهوك حاكم قبله والواقع لايقول ذلك بل العكس أنه اشتهر بعدله للشعب، وشجاعة لمواجهة الفاسدين، وهو بنى أيضا المساجد للمسلمين، وإرسال الموظفين للمساجد للعمرة والحج. كما عرفنا كان أخوك نصرانيا، و لو كان نصرانيا لكنه مشهور بعدالته و صدقه. و أعماله جيدة حتي لا ينكرها أحد وحتي من عدوه. و نقصه هو، أنه قبيخ في مجاملة الكلام مع أنه صادق في القول.

ولإيجاب هذه المسألة يجب علينا أن ننتبه أولا هل مسألة الإمامة مسألة ثابتة التي لاتتغير بتغير الزمان والمكان مثل الصلاة والصوم والأمور العبودية الأخرى، أم هي مسألة متغيرة مثل

مسألة البيع والمعاملة الأخرى وطبعا تتغير حسب زمانها؟ يجب علينا أن نضع هذه المسألة في مكان مناسب، قبل أن نجيبها.

المسألة الإمامية عند رأي الباحث واضحة أقرب إلى مسألة سياسية من مسألة دينية، مع أنها اهتمّ الإسلام بها اهتماما كثيرا، والإسلام يهتم كل شيء ويهتم ما يتعلق بالناس كله، وذلك لا يعني أن كل شيئ من أمور الدينية الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان. بدليل أن الإسلام لايعطي شيئا من العلم، والنبي لا يعلّم شيئا ما من الإمامة ولا يشير شخصا ما من الخليفة بعده. لذلك اختلفوا من أبو بكر وعلي والمهاجرين والأنصار عن من أحق أن يكون خليفة بعد النبي. وطريقة في اختيار الخليفة تختلف من عصر إلى عصر آخر. أشار أبو بكر عمر كخليفة بعده، ثم اختار عمر الستة من الأصحاب ليكون أحدهم إماما، ثم أجمع الناس عليا ليكون خليفة، وسرق معاوية خليفة عليّ رضي الله عنه.

ولماذا تدخل الإمامة في باب علم الكلام الذي هو علم يبحث عن العقائد الدينية الإسلامية؟ هل هي من باب العقائد والإيمان؟ طبعا لا، إن العلماء أهل سنة يريدون أن يردوا على رأي الشيعة الذين يقولون أن الإمام لا يكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي المصطفى أو لسان الإمام الذي يكون قبله، وليست الإمامة بالإختيار أو بالإنتخاب. وعند الشيعة الإمامة من باب العقائدية، أما أهل سنة فيردون ذلك. ولأن الإمامة ليست من أمور ثابتةفأمرها تُفوّض إلى الناس والشعب، فشروطها تتغير بتغير ظروفها وزمانها.

الخاتمة

المقاربة الكلمية أو العقائدية هي المقاربة البحثية التي وُلدت من فكر علم الكلام. وعلم الكلام هو علم يبحث في الأحكام الإعتقادية من الشريعة الإسلامية أوالأصول الديانة الكلية للإسلام. ويهدِف هذا العلم للدفاع عن العقائد الإسلامية بالحجة العقلية و تزييف كل ما خالفها، حتى تطمئنّ قلوب المسلمين بعقيدته وإيمانه. المقاربة الكلامية تنظر الدين كحقيقة مطلقة من الله

ولايوجد أي نقصان فيه. يبدو الدين رائعا للغاية بمجموعة خصائصه المميزة ويبدو الدين مثاليا للغاية.

المسألة الإمامية هي من أهم مسألة في علم الكلام، رغم أنها ليست مسألة دينية وإنما مسألة سياسية، إلا عند الشيعة الذي يقول أن الإمام لا يكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي المصطفى أو لسان الإمام الذي يكون قبله، وليست الإمامة بالإختيار أو بالإنتخاب. رغم ذلك، في بلد إيران الشيعي، يكون رئيس البلد أو الحاكم أو الولي يتمّ بالإختيار والإنتخاب.

من هنا واضح أن مسألة الإمامة خاصة مسألة رئيس الدولة أو الحاكم هي مسألة سياسية، وليست مسألة الدينية الثابتة بل هي متغيرة. ولذلك قد لايكون المسلم شرطا أساسيا في الإمامة، بل العدالة هي شرط أساسي فيها. والله أعلم بالصواب.

قائمة المراجع

أبو حسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولي، 1977.

أبو حسن الأشعري، كتاب اللمع في الرد علي أهل الزيغ و البدع، المكتبة ألأزهرية للتراث، القاهرة.

أبي حسن الأشعري، مقالات الإسلاميين و إختلاف المصلين، دار الحديث، القاهرة، 2009.

إبن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مكتبة الأسرة، 2006، ص. 966.

احمد أمين، فجر الإسلام، بيروت، الطبعة العاشرة، 1969.

حسن محمود الشافعي، المدخل الي دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1991.

محمد تيجان السماوي، و أخيرا .. قد وجدت الحقيقة، أبتث وبسيت.

هارون ناسوتيون، تيولوجي إسلام، الجامعة الإندونيسيا، 2015.